

” قراءة في كتاب المقدمة في الأصول لابن القصار المالكي “

إعداد: أ.ة. سميرة مخالدي

رئيسة مكتب الأحاديث الدينية والمنشورات

- وطبع بتحقيق الدكتور أحمد البوشيخي، عن دار اللطائف للنشر والتوزيع، وهي نشرة متأخرة، صدرت عام 2012⁽¹⁾.

• ترجمة المؤلف:

هو شيخ المالكية القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي، المالكي المعروف بابن القصار⁽²⁾،

وقد جاءت ترجمته غاية في الاختصار، في كتب التراجم والطبقات، حيث ذكر أنه وُلد على الأرجح في بداية القرن الرابع الهجري، وذلك بالنظر إلى أقرانه وأهل طبقته ممن طلبوا العلم معه كالباقلائي⁽³⁾ المولود سنة 338هـ والمتوفى سنة 403هـ⁽⁴⁾، وابن أبي زيد القيرواني⁽⁵⁾، المولود سنة 310هـ والمتوفى سنة 386هـ، وبالنظر إلى تاريخ وفاته وهو سنة 397هـ⁽⁶⁾، وقيل أنه توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة (378ت)⁽⁷⁾.

• عنوان الكتاب الكامل:

«المقدمة في الأصول»

• المؤلف: الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن القصار المالكي (ت 397هـ)

• طبعات الكتاب:

- طُبع بعنوان: «المقدمة في الأصول»، بقرأة وتعليق الأستاذ محمد بن الحسين السليمان، أستاذ بجامعة الجزائر. سنة 1996م، بدار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

- وطُبع بعنوان: «مقدمة في أصول الفقه»، تحقيق الدكتور مصطفى مخدوم، سنة 1420هـ / 1999م، دار المعلمة للنشر والتوزيع، بالرياض، الطبعة الأولى، وأصلها أطروحة ماجستير بإشراف الشيخ الدكتور أحمد محمود عبد الوهاب الشنقيطي، نوقشت سنة 1413هـ، وأجيزت بتقدير ممتاز.

• نسبة الكتاب للمؤلف:

ثبتت نسبة كتاب « المقدمة » لابن القصار بتضافر الشواهد على صحة هذه النسبة، منها ما ذكره المحقق في مقدمة الكتاب من وجود اسم ابن القصار على جميع المخطوطات التي اعتمدها في قراءة النص ونشره.⁽⁸⁾ وإثبات كتاب « المقدمة » لابن القصار يُعدّ فرعاً من إثبات كتاب « عيون الأدلة » له، لأن أصل كتاب « المقدمة » هو مقدمة استهل بها كتابه « عيون الأدلة ».

• سبب تأليف الكتاب:

أشار ابن القصار إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب في بداية المقدمة فقال: « أرشدكم الله أن أجمع لكم ما وقع إلي من الأدلة في مسائل الخلاف بين مالك بن أنس رحمه الله - وبين من خالفه من فقهاء الأمصار رحمة الله عليهم - وأبين ما علمته من الحجج في ذلك، وأنا أذكر لكم جملة من ذلك ... وقد رأيت أن أقدم لكم بين يدي المسائل جملة من الأصول التي وقفت عليها من مذهبه، وما يليق بمذهبه، وأن أذكر لكل أصل نكتة ليجتمع لكم الأمران جميعاً أعني علم

أصوله، ومسائل الخلاف من فروعه إن شاء الله تعالى»⁽⁹⁾

فسبب تأليفه للمقدمة هو سؤال بعضهم بأن يجمع لهم كتاباً يبين لهم فيه مسائل الخلاف بين الإمام مالك، وغيره من فقهاء الأمصار مقرونة بأدلتها، ثم تبرع لهم بذكر مقدمة رأى أنها مهمة وضرورية، لكي تكون كالأصل لما بعدها، حتى يجتمع الفرع بأصله.

• قيمة الكتاب العلمية:

إن كتاب المقدمة لابن القصار يعتبر مرجعاً مهماً في كشف أصول مذهب الإمام مالك رحمه الله، خصوصاً في ظل ندرة كتب الأصول المطبوعة للمتقدمين، إضافة إلى المنهج الفريد والمميز الذي سلكه صاحبه في كشف أصول الإمام مالك وما يليق بمذهبه.

وإن لهذا الكتاب " المقدمة " قيمة علمية راقية يستمدّها أولاً من قيمة ومكانة وعلو قدر صاحبه، فالقاضي أبو الحسن بن القصار يُعدّ من كبار أئمة المدرسة المالكية البغدادية، الذين نصرّوا مذهب مالك ودافعوا عنه بمؤلفاتهم؛

الذين تخرجوا على يديه، أمثال القاضي عبد الوهاب، وأبي الحسن ابن الغريق، وأبي ذر الهروي وغيرهم، ومن هنا نجد أن كل من تناول شخصيته والتعريف به؛ قد أثنى عليه ثناء عطرًا؛ قال الذهبي في وصفه: شيخ المالكية، القاضي، كان من كبار تلامذة القاضي أبي بكر الأبهري كما يعد من الثقات؛ إذ وثقه الخطيب البغدادي وأبو ذر الهروي⁽¹²⁾.

قال أبو إسحاق الشيرازي: له كتاب في مسائل الخلاف كبير، لا أعرف لهم كتابا في الخلاف أحسن منه⁽¹³⁾.

وقال القاضي عياض: كان أصوليا نظارا، ولي قضاء بغداد⁽¹⁴⁾.

وقال الحافظ أبو ذر الهروي: هو أفقه من لقيت من المالكيين، وكان ثقة قليل الحديث⁽¹⁵⁾.

وقال القاضي عبد الوهاب: تذاكرت مع أبي حامد الإسفراييني الشافعي، في أهل العلم. وجرى ذكر أبي الحسن ابن القصار، وكتابه في الحجة لمذهب مالك. فقال لي: ما ترك صاحبكم، لقائل ما يقول⁽¹⁶⁾.

وهو بمثابة اللبنة الأولى في صرح الكتابات الأصولية عموما، وإسهام المدرسة المالكية في الأصول خصوصا، حيث يعدُّ من أولى المؤلفات الأصولية المالكية بعد كتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله، وذلك لتقدم عصر صاحبه المتوفي سنة 331 هـ⁽¹⁰⁾.

كما أن كون الكتاب مقدمة لكتاب عيون الأدلة، يعد في ذاته قيمة تضاف إلى قيمة عيون الأدلة، الذي وضعه صاحبه لنصرة مذهب الإمام مالك رحمه الله والدفاع عنه، فهو من أقدم ما وصل إلينا من الكتب الفقهية المؤلفة في الخلاف العالي، القاعدة التي بني عليها الكتاب والأصل الذي تفرع عنه، وهذا ما يقوله صاحبه في سبب وضعه وتأليفه وثمرته: «... ليجتمع لكم الأمران جميعا أعني علم أصوله، ومسائل الخلاف من فروعه إن شاء الله تعالى»⁽¹¹⁾.

• ثناء العلماء على ابن القصار:

يشكل ابن القصار حلقة مهمة في المدرسة العراقية المالكية التي برزت على يد أسرة بني حماد، وتتجلى هذه الأهمية في الكوكبة النيرة من العلماء

• منهج ابن القصار في كتابه:

استهل الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن القصار المالكي كتابه « المقدمة » بمقدمة تبين عزمه على تأليف الكتاب ليجمع فيه مسائل الخلاف التي وقعت بين الإمام مالك رحمه الله وبين من خالفه من فقهاء الأمصار، مع بيان مذهب الإمام مالك والأصول التي بنى عليها فروعه واستدلالاته في المسائل، والثناء على مذهبه، إذ قال: « وأنا أذكر لكم جملة من ذلك بمشيئة الله وعونه، لتعلموا أن مالكا - رحمه الله - كان موفقا في مذهبه، متبعا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة والنظر الصحيح »⁽¹⁷⁾

وقسم الكتاب إلى أحد وخمسين بابا، منتهجا تسمية الأبواب بالعناوين الأصولية والمباحث التي تندرج تحتها مبينا مذهب مالك في كل مسألة من خلال كتبه، أو يدل عليه مذهبه، معتمدا في ذلك على الاختصار والاقتضاب، وقد يصوغ المبحث بصيغة الاستفهام للإشعار بوجود الخلاف في المسألة.

وما يميز منهجه سهولة الأسلوب والعبارات، والتزامه الأمانة مع الدقة في نقل أقوال الإمام مالك رحمه الله، وعزو الأقوال إلى أصحابها، والاقتصار على مذهب مالك وعدم ذكر المذاهب الأخرى إلا نادرا.

كما يبين ابن القصار رأيه في بعض المسائل التي خالف فيها مذهب مالك رحمه الله أو بعض المالكية، مما ظهر له أن الصواب فيها مخالف لما ذهب إليه الإمام مالك أو أصحابه، وذلك كقوله في مسألة « الأمر هل يقتضي تكرار المأمور به؟ » : « عندي أن الصحيح هو أن الأمر إذا أطلق يقتضي فعل مرة وتكراره يحتاج إلى دليل »⁽¹⁸⁾.

وقد تضمن الكتاب ملاحق في أصول الفقه المالكي كالآتي:

- مقدمة في الأصول لأبي عبيد القاسم الجبيري (ت 378هـ)

- مقدمة الانتصار لأهل المدينة لأبي عبد الله بن الفخار (ت 419هـ)

- المقدمة في الأصول للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت 422هـ)

عن تنقيح الشهاب للشوشاوي، وهذا يدل على مكانته في هذا العلم ورسوخه فيه⁽¹⁹⁾.

الهوامش:

- 1 - سلسلة الإيجاز في التعريف ببعض المؤلفات لمحسن المغربي.
- 2 - الذهبي (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء ج 12 ص 541
- 3 - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي شيخ السنة ولسان الملة، مقدم الأصوليين، انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره، له من التصانيف: التبصرة، التمهيد، التقريب والإرشاد، إعجاز القرآن وغيرها توفي 403هـ ينظر ترجمته في القاضي عياض، ترتيب المدارك، 7/ 44 وما بعدها.
- 4 - الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002م، 6/ 176.
- 5 - القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي شيخ المالكية في عصره، كان يلقب بمالك الصغير، صاحب المصنفات المحررة في المذهب، كالرسالة، والنوادر والزيادات، توفي سنة 386هـ، ينظر ترجمته في ترتيب المدارك 6/ 215.

- رسالة في الإجماع للقاضي عبد الوهاب.

مع نصوص أخرى:

- مسائل في أصول الفقه مستخرجة من كتاب «المعونة» للقاضي عبد الوهاب
- إجماع أهل المدينة (من كتاب الملخص) للقاضي عبد الوهاب
- فصول مختارة في أصول الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب
- إجماع أهل المدينة لعلي بن إسماعيل الأبياري المالكي
- مسألة مرسومة في إجماع أهل المدينة للحسين بن رشيق الرّبيعي المالكي
- عمل أهل المدينة للقرافي.

• أثر ابن القصار فيمن بعده:

يتجلى تأثير ابن القصار رحمه الله فيمن جاء بعده من الأصوليين في كثرة النقول عنه وذكر آرائه الأصولية، ومن ذلك ما نجده ماثوفاً في أحكام الفصول والإشارة للباجي، وإيضاح المحصول للمازري، والبحر المحيط للزركشي، وشرح التنقيح للقرافي، ورفع النقاب

14 - جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر لابن خليل التتائي المالكي، تح د. أبو الحسن، نوري حسن حامد المسلاقي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط/1، 1435 هـ - 2014 م، 1/180.

15 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، 7/70.

16 - ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 7 ص 71

17 - ابن القصار، المقدمة ص 3

18 - ابن القصار، المقدمة، ص 139

19 - سلسلة الإيجاز في التعريف ببعض المؤلفات: مقدمة ابن القصار في أصول الفقه، محسن المغربي.

6 - أنظر ابن القصار، المقدمة تح: مصطفى مخدوم، القسم الدراسي ص: 16.

7 - سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)

دار الحديث- القاهرة، ط 1427هـ-2006م ج 12 ص 541. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) ج 7 ص 71.

8 - المقدمة في الأصول لابن القصار، تحقيق محمد بن الحسين السليمان، ص 19 - 20.

9 - المقدمة لابن القصار تحقيق: السليمان ص 22.

10 - منهج ابن القصار في كتابه المقدمة وتطبيقاته في تخرج الفروع على الأصول، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص العلوم الإسلامية، للطالب مولاي عبد العالي محمد.

11 - المقدمة لابن القصار تحقيق: السليمان ص 1

12 - أنظر الذهبي سير أعلام النبلاء 17/107 وما بعدها.

13 - حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للقفال، تح: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكه، مكتبة الرسالة الحديثة - المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط/1 1988م، 1/237.